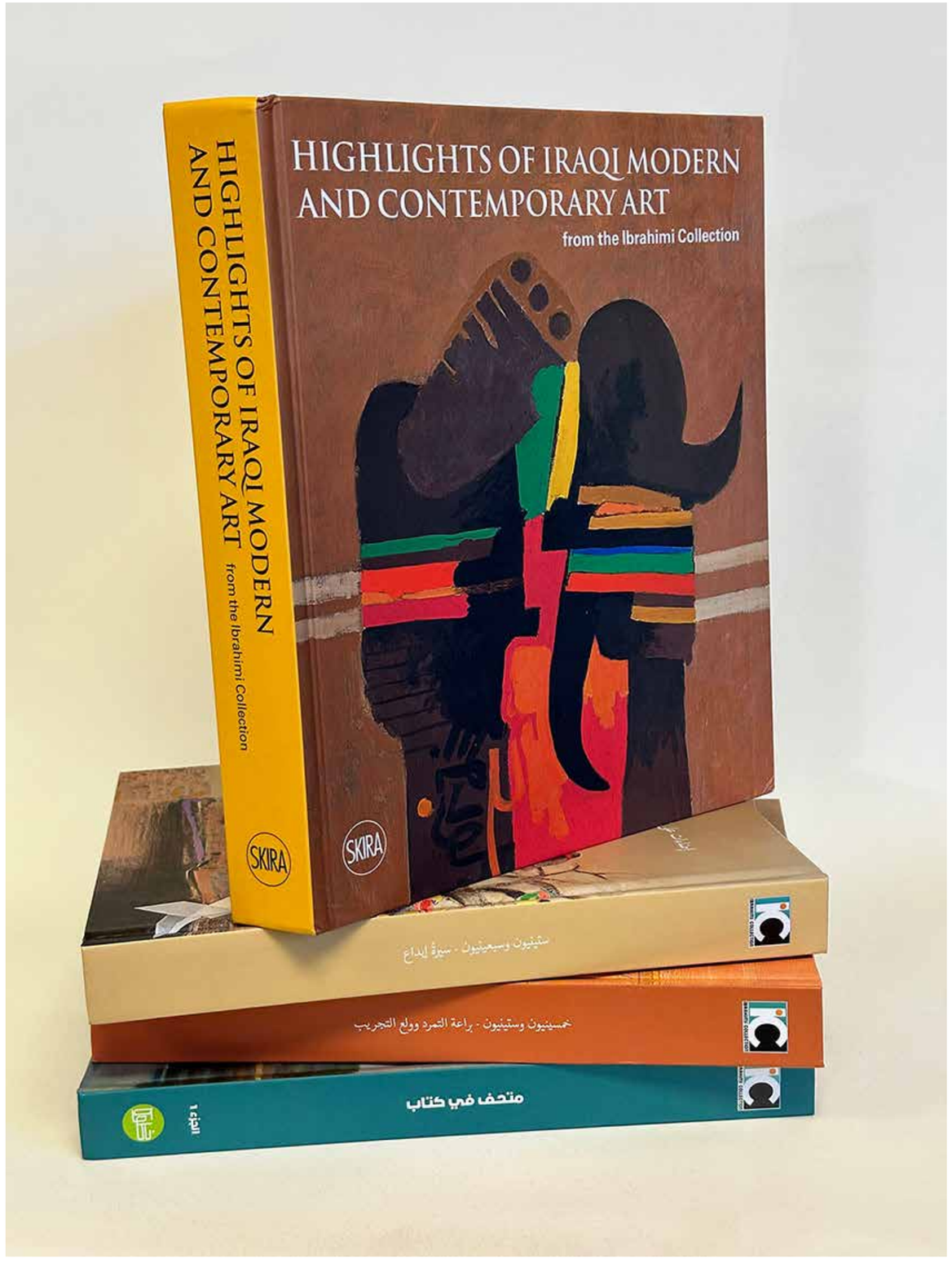


مجموعة الإبراهيمي الفنية:
النشأة، والمهمات، وإضاءات
على مسيرة الفن العراقي الحديث

سعد القصاب

مهمة جادة أقدمت عليها مجموعة الإبراهيمي الفنية، بإصدار كتب فنية، عرّفت فيها بمجموعتها من الأعمال الفنية المقتناة، ابتداءً من الفنانين التأسيسيين للحركة التشكيلية في العراق حتى التجارب الحديثة والراهنة. إنه فعل يمكن النظر إليه بوصفه جهداً ريادياً ينفتح على تصورات عدة، منها التأكيد على ضرورة الحفاظ على الإرث الفني العراقي الحديث وحمايته من الفقدان، كما يؤشر إلى أهمية الفعل التوثيقي والأرشيفي للأعمال الفنية التي نفتقدها في مدونتنا الجمالية، وذلك ما يمهّد الحديث عن طبيعة المجموعة ونشأتها ومنجزها التوثيقي .

بذريعة التوثيق

لاشك أن ثمة إهمال غير مبرر، يتعلق بالتوثيق الفني في العراق (تلك الذاكرة البصرية الهشّة، والمعطلة، بل الأكثر فقراً في ثقافتنا الوطنية)، لا يبدأ بفن الفوتوغراف كما لا ينتهي بالفن التشكيلي. إهمال من المؤسسات الرسمية، والمهتمين بالفنون، وحتى الفنانين أنفسهم. حين البحث عن أسباب وبواعث هذا الإهمال، لن نجد أحداً أو حدثاً ما، يدلنا عن تعليل يفصح عن هذا الإهمال كما هو حاصل، لكن سنجد أنه بدأ مع إقامة أولى المعارض، وحتى أولى الكتابات، ومنذ أربعينيات القرن المنصرم. ليس ثمة تفاصيل دالة للعمل الفني سوى صورته وأسم الفنان. لا نعلم أشياء أخرى تتعلق بالعمل الفني، تاريخه مثلاً، أبعاده، المواد التي استخدمت في إنجازه، عائديته، مكان وجوده، لا نعلم شيئاً!

مثل هذا التجاهل هو من سيحكم أغلب أعمال الفن العراقي، بل سيجري تكريس مثل هذا التجاهل من قبل الفنانين الرواد خاصة، ومن ثم الأجيال الفنية اللاحقة. هل لأن التوثيق علم شديد الاختلاف عن الممارسة الفنية، أم أن المؤسسة الفنية لم تتكيف للتحولات الكبيرة التي لحقت بالحقل الفني لجهة الاختصاصات العلمية والتخصصات الدقيقة المتعلقة به، والتي نشأت في القرن الماضي، كعلم المتاحف مثلاً؟

يضعنا الأستاذ الفنان ضياء العزاوي إزاء إشكالية التوثيق قائلاً إننا « أمام إشكالية لازمت التجربة الفنية كجهد شخصي أو جماعي، هو الإهمال الواضح طيلة السنوات الماضية، ويشمل هذا الفنانين، المؤسسات الفنية وكذلك ما تنشره الصحافة».

تلك من أولى الأسباب التي ستجعل الباحث المختص، ناقد الفن، والطالب الباحث، والصحفي، لا يغامر كثيراً في التعرض لموضوعات هذا الفن، مرة لغياب العائدية التوثيقية عنه (الكتابي/السمعي/البصري)، ومرة أخرى، وبأسباب الأولى، غياب التبعية المعرفية والجمالية عن هذه الأعمال. هكذا سيتم الحكم على المسعى النقدي منذ خمسينيات القرن المنصرم حتى اليوم، كونه مسعى غامضاً، أوعاطفياً، أو حتى إشهاري: فهو يعنى بالفنان لكنه سيهمل العمل الفني. سيفترض مكانة مختلقة للفنان، ولا يبالي كثيراً بالممكنات الجمالية للعمل الفني. ربما ذلك من أسباب غياب البحث في تاريخ النقد الفني كذلك، ورصد الفاعلين فيه، وقراءة مناهج اشتغاله، وأثره اجتماعيا وجمالياً، وأن نحتفظ بتاريخ موضوعي للحركة التشكيلية في العراق. إننا بذلك أهدرنا الكثير من الوقت، والكثير من الجهد لجهة خطابات فنية يبدو أنها لم تعد تعني أحداً (لكن ذلك لا يعني أن ثمة خطابات لا زالت تأسيسية ومفعمة باكتشافاتها النقدية)، وكذلك نأمل من أن يعيد كتابة تاريخ التشكيل العراقي، ولأنه لازال تاريخاً مؤجلاً.

عن المجموعة الفنية

مدخل كهذا، ربما، يؤهلنا للحديث عن المجموعة الفنية للإبراهيمي، بوصفها أولى المجموعات الفنية الأهلية التي كشفت عن مقتنياتها وأصدرت ثلاث كتب عنها. فعل التوثيق والاهتمام به سيكون إحدى ضرورات هذه المجموعة الفنية، بل ومن شروطها، في أن تنقذ العمل الفني من النسيان، وستبرهن على وجوده بواسطة توثيقه، وتلك ايضاً من فضائلها. هذا النمط من الاشتغال، وأعني وجود المجموعات الفنية داخل العراق، جاء متأخراً، ربما لأسباب موضوعية متشابكة وعديدة، لكن منها والأكثر تأكيداً، هو المتغير السياسي الذي أتخذ، دائماً، طابعاً يكاد أن يكون عنفياً، وغالباً في شكل صراعات وحروب كان قد شهدها العراق، وأخيرا الاحتلال الانكلوأمريكي له منذ أكثر من عقدين(2003). تلك الأسباب التي أثرت بقوة على بناء



كاظم حيدر. 1980.
45 x 55 سم أكريلك على القماش.
من اعمال المجموعة

حافظ الدروبي. غير مؤرخة.
60 x 40 سم زيت على القماش.
من اعمال المجموعة

مشروعات فردية ذات طبيعة شديدة الاهتمام بما هو إبداعي أو ثقافي معلن، كان يمكن لها أن تحتفظ بشواهد من الإرث الثقافي والوطني الحديث. نشير أيضاً إلى أن من مساوئ وتداعيات الاحتلال، تعرض مركز الفنون في بغداد إلى عمليات سرقة ونهب، وتخريب، وفقدان لمجموعته المتحفية. أحدث هذا التخريب ضرراً مضاعفاً بالفن العراقي، من إهمال التوثيق، وأعمال الحرب والسرقة، إلى الغياب المعلن للمؤسسة الفنية. كل هذا يدعونا إلى إظهار أهمية المجموعة المتحفية «مجموعة الإبراهيمي الفنية»، ويمنحنا مبرراً حقيقياً للحديث عنها.

هذه المجموعة التي نشأت مع نهايات العقد التاسع من القرن المنصرم، بدأت بدافعية اهتمام شخصي بالاقتناء، لاتخلو من محاولة جمع التراث الفني العراقي الحديث، ضمّت أعمال الرسم، والنحت، والخزف، لأجيال فنية متعددة. ضمت التأسيسين، والفنانين الرواد، وبعض فناني جيل الستينيات، ومابعدهم لأكثر من جيل فني. اتسعت هذه المجموعة من ثم بمقتنياتها، وتوزعت مابين بغداد وعمان، وعرضت أيضا كمجموعة متحفية شخصية باسم «مجموعة الإبراهيمي للفنون التشكيلية» في أماكن عرض خاصة بها في هاتين المدينتين. صاحب فعل الاقتناء هذا، الذي أمتد تاريخه لأكثر من عقدين، إجراءات ذات بعد احترافي، سواء في مجال البحث وتدقيق أصالة الأعمال، والبدأ في مجال التوثيق وحفظ المعلومات المتعلقة بالمجموعة الفنية، وبالفنانين وسيرهم والمصادر التي تتحدث عنهم، ومن ثم عملية أرشفة ورقية ورقمية. شمل هذا التوثيق المنشورات، وكاتلوكات المعارض، حتى إنشاء موقع ألكتروني مرجعي عنها، ومن ثم البدء بالمشاركة في معارض إقليمية ودولية باسم المجموعة، لتأكيد فعل التواصل الثقافي

وتكريس المعرفة بالإبداع العراقي. لقد جاء هذا التأسيس وفق مهنية واحترافية أطرت طبيعة المجموعة ومن ثم المؤسسة الراعية لها.

إصدارات مجموعة الإبراهيمي

الكتب والمطبوعات عن المجموعات الفنية، تجربة المقتنين وطبيعة العلاقة مع الوسط الفني، تداول وعمليات الاقتناء للأعمال الفنية، طبيعة اختيارالمنجز الفني وتصنيفه تاريخياً وإبداعياً، تلك مجالات لازلنا في أمس الحاجة للتعرف عليها، ومحاولة تفحصها، خاصة فيما يتعلق بالفن التشكيلي العراقي، استكمالاً لتصورات ذات بعد اجتماعي، وتداولي، ومعلوماتي عن هذا الفن.

تكفلت «مجموعة الإبراهيمي» بإصدار عدد من الكتب لها طبيعة توثيقية، وتقويمية، ونقدية أيضا، وبشكل واف لمقتنياتها، وهي بذلك تشارك في ردم الفجوة التي يعاني منها الفن العراقي، بدءاً لجهة توثيق مئات الأعمال الفنية الخاصة بها، والتقديرات الخاصة بعملية الاقتناء والتي اتخذت بعداً نقدياً وتاريخياً.

كتاب د. حسنين الإبراهيمي « متحف في كتاب»، وهو الكتاب الأول في هذه السلسلة، ضم مراحل تاريخ للحركة التشكيلية الحديثة في العراق، منذ الظهور والبدايات التأسيسية عنها. متابعة عن قرب لمسار الحركة عبر تجارب الفنانين، والجماعات الفنية، والأحداث الفنية التي رافقت مثل هذا التاريخ، ولمدة تتجاوز القرن من الزمن، بدءاً مع تجربة الفنان المؤسس»عبد القدر الرسام ،1882 – 1952» التي تتحدث عنه الناقدة مي مظفر في مقالتها (تمثلات الحركة التشكيلية في العراق) والتي ضمها الكتاب بكونه «البغدادي المعني بامتياز بالمدينة ومشاهدها، إذ تكاد تكون أعماله توثيقاً رائعاً لمظاهر الحياة في العقدين الأولين من القرن العشرين»، حتى الجماعات الفنية في منتصف تسعينيات القرن المنصرم.

عرّف «متحف في كتاب» بتاريخ الحركة التشكيلية العراقية، وبطبيعة ونوع الأعمال الفنية المقتناة تحت مسمى «المجموعة الفنية لمؤسسة الإبراهيمي»، وشملت أعمالاً فنية لأجيال متعددة أظهرت صفة التنوع في التجارب الفنية والاتجاهات والأساليب لهذه المجموعة.

يكتب الإبراهيمي عن مشروعه في مقدمة الكتاب:» نعتقد أننا من خلال هذا المشروع يمكننا تقديم شيء من الدعم والرعاية والحفاظ على الإرث الثقافي والفني للعراق في



حقل الفنون البصرية». كما بين فيها أهداف المجموعة على الصعيد الوطني المتمثل بإثراء المجموعة بالأعمال الفنية، والدعوة إلى تطوير الممارسات في مجال حقل الفنون البصرية، إضافة إلى تعزيز العلاقة مع مجتمع الفن المحلي والإقليمي والدولي لجهة المؤسسات والمتاحف والأكاديميات والمهتمين بحقل الفنون التشكيلية.

في كتابه هذا يتحدث الإبراهيمي أن مجموعته الفنية تتماثل مع عدد من المجموعات الفنية المتخصصة بالفن التشكيلي العراقي، وهي مجموعات محدودة بشكل ما، وبعضها، مثل مجموعة المعماري حسين علي حربة، تورينو/ ايطاليا، ومجموعة الناقدة السيدة مي مظفر، المعنية تحديداً بنتاج الفنان الراحل رافع الناصري، ومجموعة المعماري الرائد محمد مكية/ لندن، ومجموعة المعماري الراحل رفعت الجادرجي/ بيروت، وكذلك مجموعة الفنان ضياء العزاوي بأرشيفها التوثيقي المميز، كذلك مجموعة الفنان هيمت محمد علي، عدا بعض مجاميع خاصة أخرى يبدو أن بعضها غير معلن، وبعضها الآخر مملوكة







جانب من قاعات مجموعة الابراهيمي، عمان



علي طالب. عمى (6). 2019
فايبركلاس مع ورق الذهب..
14 x 15 x 20 سم.
من اعمال المجموعة

سالم الدباغ، بدون عنوان. 1977
اكريلك على القماش 100 x 100 سم
من اعمال المجموعة

لقاعات عرض فنية.

جاء « كتاب في متحف» بـ 432 صفحة من القطع الكبير، وضم إضاءات على تاريخ وتطور الحركة التشكيلية في العراق» وصوراً موثقة للوحات المجموعة، ضمن المدة الزمنية التي بينتها موضوعات الكتاب، إضافة إلى الفصول الثلاثة التي ضمها الكتاب. جاء في الفصل الأول المعنون بـ «عن مجموعة الابراهيمي للفنون التشكيلية» الحديث عن كيفية نشوء وتأسيس المجموعة، والخطوات التي اتبعت في عملية توثيق الأعمال المختارة التي جرى اقتناؤها والظروف التي صاحبت فعل الاقتناء. والفصل الثاني الذي جاء بعنوان «مرحلة التأسيس» تحدث فيه الإبراهيمي عن أصول الفن التشكيلي العراقي، منذ بداياته، مروراً بمرحلة التأسيس السياسي في العراق، والفنانين المؤسسين، ومن أطلق عليهم اسم (الرسامون العثمانيون)، مع الحديث عن أولى الجماعات الفنية. وتحدث في الفصل الثالث «الريادة والجماعات الفنية» عن الريادة والجماعات الفنية التي تأسست في العراق منذ أربعينيات القرن المنصرم، مثل جماعة الرواد، وبغداد للفن الحديث، مرورا بالجمعات الفنية بالستينات،والسبعينيات، حتى جماعة بغداد في منتصف العقد التاسع. ضمت هذه الفصول استشهادات نقدية وذكر أحداث ثقافية عن الجماعات الفنية، وسيّراً ذاتية للفنانين وتوصيفاً لتجاربهم، عدا نشر صور أعمالهم، والمنتقاة من قبل المجموعة.

الجزء الثاني من الكتاب جاء تحت عنوان « خمسينيون وستينيون- براعة التمرد وولع التجريب» بـ 508 صفحات ملونة من القطع الكبير، وهو مخصص لجيل الرواد من الفنانين وجيل الفنانين الستينيين ومن الرعيل الاول. ضم هذا القسم صور أعمال فنية موثقة لفنانين رواد وبعض فناني جيل الستينات، ومن مقتنيات المجموعة، تحدث فيها الإبراهيمي عن السير الذاتية للفنانين، وتعريفات نقدية عن تجاربهم. استهل كتابه بمقدمة نظرية جاءت بعنوان«في الأسس التنظيرية للفن التشكيلي العراقي المعاصر»مبيننا عبر عناوين فرعية حدود الاشتغال النظري والاهتمامات الثقافية على مستوى الكتابات النقدية للنقد الفني في العراق، متأثرا بالتوجهات الفكرية العالمية، والرؤية الجمالية للفنان العراقي منذ خمسينيات القرن الماضي حتى ما بعد 2003. ورد فيه أيضا إضاءات على المعارض الفنية وتبيان قاعات العرض الفنية الحكومية. تناول الجزء الثالث، وهو كذلك ضم وفق



تصنيفات جيلية «مجموعة الإبراهيمي الفنية، ستينيون وسبعينيون- سيرة إبداع» وكتب الابراهيمي في مقدمته ما يأتي: « حاولنا تطبيق التصنيفات المتعارف عليها على غالبية الأعمال التي لدينا في مجموعة الإبراهيمي، آخذين بنظر الاعتبار نتاجات الفنان وأساليبه بشكل عام خلال حياته الفنية». يعرّف في هذا الجزء بحدود (37) فناناً وفنانة، يتمثل وجودهم في المجموعة من خلال أعمالهم الفنية المصورة والموثقة، عدا تقديره النقدي لهم، وتمثل بحق أرشيفاً صورياً يعرّف بتجارب هؤلاء الفنانين ورؤاهم.